

www.ikhwanweb.com

Ikhwanweb Tarjamat

IkhwanScope.com

الاتجاهات الحالية للأيدولوجية الإسلامية

تحرير

هيلل فرادكين

حسين حقاني

إريك براون

الجزء الثالث

تغطية عن الإسلام والديموقراطية ومستقبل العالم
الإسلامي

معهد هدسون

حقوق الطبع 2006 , معهد هدسون

جميع الحقوق محفوظة

تمت الطباعة في واشنطن, وقامت بالطباعة شركة كيربي ليثوجرافيك

نبذة عن معهد هدسون

يعد معهد هدسون منظمة أبحاث سياسية غير حزبية وتكرس جميع جهودها للأبحاث الإبداعية و التحليلات التي تتناول قضايا الأمن العالمي, والتقدم والحرية. فنحن نكسر حائط الفكر التقليدي الجامد ونشجع تناول الانتقالات الاستراتيجية للمستقبل وذلك من خلال البحث الأكاديمي المتداخل والدراسات التعاونية في قضايا الدفاع والعلاقات الدولية و الاقتصاد والثقافة والعلوم والتكنولوجيا والقانون. ونحن نرمي إلى توجيه القادة الدوليين في مجالات الإدارة والأعمال وذلك عن طريق المطبوعات والمؤتمرات والوصايا السياسية.

ومنذ أن تأسست هذه الهيئة عام 1961 على يد اللامع هيرمن خان, كان هدفها ولا زال موجهها للحديث عن المستقبل و مبدأ التفاؤل. ولقد ظلت أبحاثنا تواجه بصمود التغييرات العالمية المتلاحقة التي بدأت بإنهيار الاتحاد السوفيتي ومرورا بصعود نجم الصين و ظهور الراديكالية من داخل الإسلام. ولأن معهد هدسون يؤمن بالتعقيدات المتداخلة داخل المجتمعات, فإن أبحاث المعهد تتناول ردود الأفعال التي غالبا ما يتم تجاهلها داخل الثقافات والديموغرافيا و التكنولوجيا والسوق والقيادات السياسية. إن مداخلنا الشاملة قد أهلتنا على مر العشرات من السنين أن نقدم إرشادات وتوصيات لقادة الحكومات والأعمال بما هو مواكب للعصر.

للحصول على المزيد من المعلومات زوروا www.hudson.org

الداعية والمجاهد

ستيفن بروك

منذ أحداث غزو العراق، أصبح أبو مصعب الزرقاوي ((القائد الميداني)) لتنظيم القاعدة في العراق هو الممثل الرئيسي للإرهاب الإسلامي والذي يشار إليه غالبا بحركة الجهاد السلفي. فقطع الرؤوس بطريقة وحشية والانفجارات التي تهز أنحاء العراق واستخدامه البارع لوسائل الإعلام مثل الإنترنت قد زاد من سمعته السيئة. وبالرغم من السمعة السيئة التي ألصقت به، قليلا ما يعرف أحد كيف استطاع هذا البلطجي التافه والمجرم الذي لديه مشوار صغير في الإجرام أن يصبح أمير القاعدة في بلاد الرافدين وواحد من أبرز جماعات الجهاد السلفي. وبالنظر إلى الزرقاوي، يجب أن نفهم أولا شخصية معلمه وهو رجل الدين الفلسطيني الأردني أبو محمد المقدسي.

كرس المقدسي معظم حياته لاستثارة وتشجيع الأعمال الجدالية والإسلامية التي تنبذ الديمقراطية وتهاجم الانظمة العربية باعتبارها أنظمة كافرة ومرتدة كما تزود المجاهدين المنتشرين في ربوع العالم العربي بايديولوجيات إرشادية. ولكن للأسف فإن جميع التقارير عن الزرقاوي نادرا ما تذكر شيئا أو تتحدث عن معلمه وشيخه. كما أن جميع التقارير تتجاهل الخلاف الذي نشب بين الزرقاوي والمقدسي (وهو الخلاف الذي تم تحليله في الجزء الثالث من الاتجاهات الحالية للأيديولوجية الإسلامية لنبراس كاظمي). إن هذا الأمر هو خير دليل على الخلل الكبير في فهمنا لحركة الجهاد السلفي المعاصرة، كما أنها تعبر خاصة عن ضعف فهمنا للأيديولوجيات المتصارعة والمختلفة داخل الجماعة في حد ذاتها. إن دراسة السيرة الذاتية للمقدسي وفكره سوف يساعدنا كثيرا في رآب هذه الصدع الموجود في فهمنا وإدراكنا كما ستفسر لنا تلك الغربة التي يشعر بها القائد الميداني في بلاد الرافدين عن بقية زملائه في حركة الجهاد السلفي.

داعية إلى التوحيد

ولد أبو محمد المقدسي المعروف أيضا بإسم عصام طاهر البرقاوي في نابلس عام 1959. وفي فترة طفولته هاجرت أسرته إلى الكويت. أراد المقدسي أن يلتحق بالجامعة الإسلامية في المدينة لدراسة الشريعة الإسلامية ولكن أبوابه رفضا ذلك و أصرا على أن يدرس الهندسة في شمال العراق. وبالرغم من منعه من الدراسة الدينية إلا أنه انكب بنفسه على دراسة الكتب السلفية

الرئيسية بدءا من كتب شيوخ القرن الثالث عشر مثل الشيخ ابن تيمية وصولا إلى ابن تيمية القرن الثامن عشر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.¹

ولقد كان لهذه الدراسات والقراءات عن الكتاب السلفيين بالغ الأثر على المقدسي . ففي كتابه الذي ألفه عام 1985 باسم "ملة إبراهيم" , يركز المقدسي في كتابه على مبدآن إسلاميين قد شغلا ذهنه طوال حياته الفكرية.²

المبدأ الأول يتعلق بالتوحيد , وهو الإيمان بأن الله واحد وكل ما يتعلق بإخلاص العبادة لله وحده. والمبدأ الثاني هو وجوب محاربة الشرك في كل مظاهره وأشكاله.³

فالمقدسي يرى أن على المسلم أن يظهر العداء والكره للشرك ومظاهره وأتباعه حتى يتركوه ويعودوا لطريق الإسلام القويم.⁴

ويعتبر المقدسي أن هذين المبدأين لا يمكن للمسلم أن يكون مسلما حقيقيا بدونهما وأنهما أهم من الصلاة اليومية والزكاة أو أي فريضة دينية أخرى.⁵

كما أن عقلية المقدسي هذه وغيره ممن ينتمون للجهاديين السلفيين قد ترجموا هذين البدأين وهما التوحيد ومحاربة الشرك إلى رغبة في تحول سياسي راديكالي وجهادي أيضا.

عندما قام السوفييت بغزو أفغانستان, سافر المقدسي للمنطقة للانضمام لصفوف الجهاد وفي عام 1990 التقى بأبو مصعب الزرقاوي ذلك الفتى الصغير الأردني وكان ذلك في بيشاور في باكستان . واكتشف كلا منهما أن كل واحد منهم يشارك زميله نفس الرأي والفكر ولكن ظروف المنطقة في ذلك الوقت قد فرقتهما.⁶ وعندما انسحب السوفييت عاد المقدسي للكويت ولكن بعد ذلك قام صدام حسين بغزو الكويت فهرب المقدسي للسعودية والذي مكث فيها فترة وجيزة ثم استقر في الأردن عام 1992.⁷

وفي الأردن, زار المقدسي الزرقاوي الذي اكتشف التقارب الفكري بينه وبين الزرقاوي من خلال حديثهم أثناء الجهاد في أفغانستان. قام الرجلان بتأسيس جماعة تدعى ((التوحيد)) وبدءا في نشر رسالتهم والدعوة من أجل ثورة إسلامية في قلب الوطن العربي.⁸

¹ حوار مع الشيخ أبو محمد المقدسي, نداء الإسلام في جزأين, في ديسمبر 1997 ويناير 1998 (21#) وفبراير ومارس 1988 (22#) ز يشار إليه لاحقا بالمواجهة

² عنوان الكتاب مأخوذ عن اسم سورة في القرآن اسمها البقرة, الآية 30 والتي تقول ((ومن يرغب عن ملة إبراهيم فقد سفه نفسه ولقد اصطفيه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين))

³ أبو محمد المقدسي, (ملة إبراهيم) (نشر التبيان, 1985): 38-40. يشار إليه لاحقا بملة إبراهيم

⁴ نفس المصدر, 52

⁵ نفس المصدر, 44

⁶ فؤاد حسين, (الجزء الخامس: الزرقاوي..... الجيل الثاني للقاعدة, القدس العربي, يونيو 25, 2005

⁷ ((المواجهة))

⁸ نفس المصدر

وقامت هذه الجماعة بجمع الذخيرة والأسلحة في المنازل على طول البلاد.⁹ واتسع نطاق الجماعة مما لفت نظر الأمن الأردني وهيئات الاستخبارات. وفي 29 من مارس 1994 تم القبض على الزرقاوي والمقدسي وعدد من أفراد الجماعة.¹⁰ وانتهت المحاكمات التي عرفت بقضية بيت الإمام في نوفمبر 1996 إلى اتهام عشرة رجال من بينهم الزرقاوي والمقدسي.¹¹ وقويت شوكة جماعة الجهاد داخل السجن بالرغم من أن عدد أتباع المقدسي لم يزد عن ثلاثين رجلا. وقد تقرر أن يصبح المقدسي أميراً للجماعة ولكن بعد عام من توليه ذلك المنصب قرر أن يكون يتنازل عن هذا اللقب للزرقاوي لكي يستطيع أن يركز في دراسته وكتاباته، وبالرغم من ذلك ظل المقدسي المرشد والصدوق للزرقاوي وتوطدت العلاقات بينهما بشكل أكبر.¹² وقد فسر المقدسي أن سبب تخليه عن أن يكون أميراً للجماعة وإعطائه ذلك المنصب للزرقاوي راجعا إلى أن الزرقاوي يتمتع بشخصية قوية والتي تضمن له كيفية التعامل في السجن كما أن الزرقاوي أفضل منه لأنه يتمتع بالجنسية الأردنية.¹³

وفي عام 1999, تم إطلاق سراح المقدسي والزرقاوي وعدد من الإسلاميين طبقا لقرار العفو العام. ولكن الزرقاوي ذلك المتعطش للجهاد قرر السفر إلى أفغانستان مرة أخرى.¹⁴ بينما قرر المقدسي البقاء في الأردن للدراسة واستعادة نشاطة الدعوي.¹⁵ ومنذ ذلك الحين والمقدسي و أتباعه يحاولون قلب نظام الحكم في الأردن كما أن كتاباته قد استخدمها العديد من الراديكاليين الإسلاميين لتبرير هجماتهم الإرهابية على السعودية والكويت. ومنذ عام 1999 والمقدسي يحاول نشر فكرة من خلف القضبان وكأنه لم يسأم من العيش في السجن.¹⁶

مواجهة الحكومة الكافرة !

وبالرغم من سجنه إلا أن المقدسي ظل المرشد الجريء و المستشار الكبير الداعي للثورة الإسلامية في جميع أنحاء الوطن العربي. ولم تسلم الديمقراطية من نقده اللاذع وتوجيه سهام الاتهامات لها حيث أنه قد عارض بشدة الانتخابات الكويتية في بدايات عام 1991 وكذلك الانتخابات الأردنية في عام 1993 وفي عام 1997 باعتبارها غير إسلامية. ففي كتابه : الديمقراطية: دين! قد أوضح المقدسي جميع أفكاره التي ترى أن الديمقراطية باتت الخطر الذي يهدد التوحيد في العالم اليوم. فيقول المقدسي ((إن الديمقراطية دين ولكنها ليست دين

⁹ ((انتعاش الجماعات الإسلامية)) الحدث 11 مايو 1998

¹⁰ c فؤاد حسين, ((الجزء الأول... الجيل الثاني من القاعدة, القدس العربي 8 يونيو 2005

¹¹ رنا الحسيني, ((الأحكام العشرة في قضية بيت الإمام)) جوردن تايمز, 29 نوفمبر 1996

¹² فؤاد حسين ((الجزء الخامس: الزرقاوي... الجيل الثاني من القاعدة)) القدس العربي 25 يونيو 2005

¹³ ((حوار مع أبي محمد المقدسي)) تليفزيون الجزيرة 5 يوليو 2005 بشار إليه لاحقا بحوار الجزيرة

¹⁴ فؤاد حسين ((الجزء الخامس: الزرقاوي... الجيل الثاني من القاعدة)) القدس العربي 25 يونيو 2005

¹⁵ نفس المصدر

¹⁶ ((حوار الجزيرة)) انظر ايضا سمير حمدان, أهالي معان يعلنون الحداد على قتلهم وسلطات الأمن تعتقل الشيخ البرقاوي, رنا

الحسيني ((الإدعاء يمثل نهاية الجدل)) جوردن تايمز 1 يوليو 2005

الله)). وبالتالي أصبح لزاما على المسلمين محاربتها ومحاربة المهللين لها كما يجب أن يعتبرهم المسلمون أعداء ويظهروا لهم الكراهية و أن يرفعوا راية الجهاد ضدهم.¹⁷ إن المبررات التي ساقها المقدسي للجهاد ضد المدافعين عن الديمقراطية تستند برمتها إلى ما قاله الشيخ بن تيمية في القرن الثالث عشر وقد بدأ تأثير ذلك الكلام عند المقدسي وبخاصة ما قاله بن تيمية في عقيدة التكفير، التي تصم فرد ما بأنه مرتد أو كافر. إن هذه التهمة تكفي بل وقد تصبح واجبا على المسلمين ليرفعوا راية الجهاد ضد المرتدين.

وعلى مر التاريخ، فإن المسلمين كانوا يتجنبون استخدام هذا اللفظ لما له أثر بالغ في إذكاء نيران الفتنة بين المسلمين، كما انهم كانوا يرون أن هذا اللفظ وهذا الحكم بتكفير شخص ما يعلمه الله وحده.

ولكن خالف الشيخ بن تيمية ذلك التيار عقب إجلاءه هو وأسرتة من دارهم إبان غزو المغول بقيادة الملك غزان. ولأن غزان والكثير من أفراد جيشه كانوا قد دخلوا الإسلام إلا أن الشيخ بن تيمية قد ابتدع حيلة أخرى لتبرير محاربه إخوانه من المسلمين. فكان يرى أنه على الرغم من أن الملك غزان كان مسلما إلا انه سمح بوجود قانون وضعي وهو قانون المغول الذي يعرف بياسق وذلك بجانب الشريعة الإسلامية. كما أن غزان قد تخلى عن مهامه وواجباته كحاكم مسلما وسمح لجيوشه الانحراف عن طريق الإسلام الصحيح، كما أن المغول لا يدينون بالإسلام وعلى هذا الأساس فإن بن تيمية يرى بكفر المغول وأنه واجبا على كل مسلم جهادهم باعتبارهم كفره ومشركين. وبالتالي على المسلمين رفع راية الجهاد ضدهم وضد الغزو المغولي.¹⁸

كما أن المقدسي يستند لفتوى ابن تيمية التي يرى فيها وجوب مقاتله من يرفض أي نص أو حكم من الدين حتى لو كان أعضاء مثل هذه الجماعات قد أشهر إسلامه علنا ونطق الشهادة.¹⁹

تماما كما فعل بن تيمية ضد المغول فإن المقدسي يهاجم الديمقراطية والأنظمة العربية المعاصرة بأنها حكومات الياسق الحديث.²⁰ وذلك لأن هذه الحكومات قد استبدلت بدين الله وحكم الله تشريعات وقوانين أخرى بل جعلوها إلها فوق الله. بالإضافة إلى أنهم يوجبون الولاء لتلك القوانين الوضعية التي هي من صنع البشر. إذا فالمقدسي يتهم كل هؤلاء الحكام وأعاونهم

¹⁷ الديمقراطية دين، 3

¹⁸ ملخص لفتوى ابن تيمية ضد المغول، انظر توماس راف في ملحوظات على فتوى ابن تيمية ضد المغول

¹⁹ مقتبس من جونز جانسن، الطبيعة المزدوجة للأصولية الإسلامية (إيثاكا، نيو يورك: كرونويل يونيفرستي برس

²⁰ ((ملة إبراهيم)) يبدو ان المقدسي يشبه الموقف الحالي ويقارنه بحال المغول، وذلك من شدة تأثره بكتابات ابن تيمية

بالشرك لأنهم يعبدون إلها آخر وهو الطاغوت بدلا من عبادة الله.²¹ وبالتالي فعقيدتهم قد خالطها الشرك وأنهم قد تركوا توحيد الله.

وممن لم يسلموا من سهام المقدسي أيضا بجانب الداعين إلى الديمقراطية أولئك المسلمون الذين يشاركون في الأنشطة الديمقراطية من ضمنهم ذلك الإسلاميين الذين يطمحون لإنشاء الحكومة الإسلامية من خلال الحوار الديمقراطي والكسب في الانتخابات, فهو مثلا يهاجم هؤلاء الذين يتعاونون ويشاركون ويجلسون على مائدة المفاوضات ((لصالح البلاد والأمن والإقتصاد وخلافة)) فإن تلك الانظمة يحكمها في الأصل الطاغوت.²²

إن هذه التلميحات الخاصة يقصد بها جماعة الإخوان المسلمون في الاردن وهي جماعة إسلامية قررت أن تعمل داخل النظام السياسي للدعوة كما أن العالم الفرنسي جيل كبلر يعتبرهم ويراهم أوفى الأوفياء للعرش الأردني.²³

وكما يتضح, فإن العداء المقدسي لجماعة الإخوان المسلمون في الاردن ليست بسبب اتعداد هذه الجماعة للمشاركة في السياسات الديمقراطية, فهو كفلستيني قد شعر بأن هؤلاء الإخوان قد خانوا أبناء وطنه عندما أيدوا انقلاب الملك حسين على الفلسطينيين في أحداث أيلول الأسود الشهيرة عام 1970. وقد كافأ الملك حسين جماعة الإخوان المسلمون بأن أوكل إليهم وزارة التعليم. ولكن المقدسي يرى أن جماعة الإخوان المسلمون ليس فيهم سوى سيد قطب الذي لا يكن له سوى الاحترام الكامل بينما يهاجم جماعة الإخوان المعاصرين لأنهم يستشهدون بكلام سيد قطب وفي نفس الوقت يستجدون الطاغوت الذي هجر شرع الله لكي يحصلوا على مقاعد في مجالس الشرك ولعصيان والمروق.²⁴

ويهاجم المقدسي جميع المؤسسات الإسلامية التي أنشأتها ((حكومات ياسق الحديثة)). فبالنسبة له, شيوخ وعلماء تلك المنظمات يمارسون ويقرون الشرك وترك الإسلام بل وينتهجون طرق ملتوية وملتفة من أجل الحصول على منح وعطايا وأن ينضموا لهيئات التدريس في الجامعات أو حتى من أجل الحفاظ على الطواغيت الجدد الذين يعبدونهم حق العبادة.²⁵ وتوضيحا لتلك النقطة, فإن المقدسي يهاجم آل سعود لأنهم رفضوا توزيع كتابات جهيمان عتيبي وهو الإرهابي السلفي الذي استطاع إحكام السيطرة على المسجد الكبير في مكة عام 1979, وقد رفض شيوخ وعلماء السعودية جميع كتاباته. والمقدسي يدافع عنه ويعتبر جميع كتاباته تنادي بالتوحيد الذي لا

²¹ أبو محمد المقدسي, الديمقراطية دين, ترجمة أبي محمد المالكي و أبو سيف موحد, (نشر التبيان) 5,16. يشار إليه لاحقا بالديموقراطية دين و أبو محمد المقدسي, الإيمان بالله والكفر بالطاغوت ترجمة أبي محمد المالكي, متوافر على الشبكة الدولية <http://stateofislam.com/print.php?id=70> (accessed August 15, 2005)

²² ملة إبراهيم, 186

²³ جيلز كبلر, الجهاد: درب الإسلام السياسي (كامبريدج: أم آيه هارفارد يونيفرسيتي برس, 2002), 338

²⁴ ملة إبراهيم, 110

²⁵ نفس المصدر 42

بخالطة أي شرك مثل الحكم الملكي السعودي.²⁶ كما ينتقد أيضا رابطة دول العالم الإسلامي على أساس أنها تحاول تفريق المسلمين من خلال دولة الطاغوت المتمثلة في المملكة العربية السعودية.²⁷ كما ان هؤلاء المشايخ لم يتخلوا فقط عن التوحيد بل انهم يضلون الناس ويبعدونهم عن أهم الفروض الا وهي محاربة الشرك. وعلى سبيل المثال فإن هناك مقالة للمقدسي اسمها القافلة تسير والكلاب تنبح , يهاجم فيها شيوخ المسلمين الذين يحاولون تفسير الجهاد على أنه لا يتماشى مع العنف وضر الأمة المسلمة.²⁸

والمقدسي يدعو جميع المسلمين للثورة ضد ((أئمة الكفر)) و((الحكام الكفرة)) من حكومات ياسق العصر الحديث. ويضيف ان على ((كل مسلم)) أن يفي بواجباته تجاه دينه و ان يستبدل كل مظهر من مظاهر الكفر ((وكل على قدر استطاعته)).²⁹ وفي إحدى كتاباته الجدلية وهي ((الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)) شن المقدسي هجوما واسعا واعتبر الأنظمة الحاكمة في المملكة العربية السعودية والأردن أنظمة كفرية. ويرى أن محاربة الأعداء الداخل أهم من محاربة أعداء الخارج مثل إسرائيل والولايات المتحدة والسبب هو أن الذين يشكلون خطرا على عقيدة التوحيد هم أعداء الداخل.³⁰ ويقول المقدسي أنه يؤمن تماما كما يعلن أن أهم الفروض الواجبة على الأمة الإسلامية هي رفع راية الجهاد ضد من بدل قوانين و((شريعة الله)) كما يرى أنها أهم من ((جهاد اليهود في فلسطين)).³¹

إن الأجندة الثورية للمقدسي من أجل العالم العربي والذي يوجهها للشباب الصغير الذي يريد أن ينضم لحقل الجهاد قد لعبت دورا كبيرا في أحداث نوفمبر 1995 عندما قامت جماعة إرهابية بنسف مقر الحرس الملكي السعودي والذي أسفر عن مصرع ستة أشخاص من بينهم خمسة أمريكيين وجرح ستين آخرين. وقال أحد الذين قبض عليهم من ضمن أربعة اعترفوا بارتكاب الحادثة أنهم قد تأثروا بكتابات المقدسي مما دفعهم لارتكاب حادث قتل جماعي. وقال أنه والمشاركين معه في العملية قد قرأوا وتبادلوا كتب تكفر الحكام العرب وتعتبرهم كفرية ومن أمثال تلك الكتب ((الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية)) وكتاب ((ملة إبراهيم)) لأبي محمد المقدسي. فكان متشوقا للقائه وبالفعل قام بزيارته في الأردن وتأثر بأفكاره ومطبوعاته التي تكفر

²⁶ نفس المصدر , 46 أف

²⁷ نفس المصدر , 192-193

²⁸ ابو محمد المقدسي, ((القافلة تسير والكلاب تنبح)) المعسكر البتار, رقم 7 (مارس 2004)

²⁹ أبو محمد المقدسي, هذه هي عقيدتنا, 27. وهذا يعد ملف بالغ الأهمية لفهم أفكار المقدسي, والتي كتبها ليصحح ما يراه افيراضات خاطئة عن أفكار جماعته. والتي يشار إليها لاحقا بالعقيدة

³⁰ ملة إبراهيم, 188-189, إنه يرى وجوب مواجهة جهاد أعداء الداخل قبل مواجهة أعداء الخارج وذلك استنادا للآية التي تقول ((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة واعلموا أن الله مع المتقين)) (سورة التوبة الآية 123)

³¹ المواجهة

الحكام العرب جميعا والحكومات العربية وهيئة كبار علماء المسلمين في المملكة العربية السعودية.³²

بين الدعوة والجهاد

إن كل الكتابات والمنشورات التي ألفها المقدسي مع جميع أعضاء حركة الجهاد السلفي قد أذكت نيران العنف التي اجتاحت معظم بلاد الشرق الأوسط في عصرنا هذا بما يشمل دوامة العنف المتفجر في العراق بقيادة الزرقاوي وأتباعه. وبالرغم من مساندة المقدسي للجهاد في العراق ودعوته لقيام ثورة إسلامية في العالم العربي إلا أن نهجه يتميز بقليل من الحذر عن نهج الزرقاوي ومجاهدين آخرين ممن ينتمون لتنظيم القاعدة ويقومون بعمليات في العراق أو غيره.

إن الفرق بين الاثنين يكمن في تفسير المقدسي لمسألة التكفير. فالزرقاوي، ذلك الإرهابي والقائد الميداني قد أعلن صراحة التكفير على أي أحد يعمل لحساب الديمقراطية ويشارك في الأنشطة الديمقراطية الكفرية وبالتالي فهم هدف شرعي للجهاديين ولكن المقدسي في هذه المسألة يدرك فداحة هذه التهمة. وفي كتاب ((ملة إبراهيم)) يشرح المقدسي أن فهمه الخاص بشأن التكفير يعتمد على تعاليم ابن تيمية التي خالف فيها الرأي السائد. ويرى المقدسي أن مسألة التكفير يجب أن تستخدم بحذر شديد وعندما تفشل جميع الطرق الأخرى في محاربة الشرك.

ويتضح من ذلك أن المقدسي يعي المدى المحدود لفكر ابن تيمية، وهذا يفسر عدم استخدامه مبدأ التكفير وتطبيقه بشكل عام. وحتى في فترة السجن التي قضاها المقدسي كان يبتعد عن ما يراه الأحكام المتطرفة في مسألة التكفير لأنها تعتمد على آراء ضعيفة. وفي عديد من المناسبات كان يعلن هو وأتباعه في جماعة التوحيد أنهم دائماً كانوا يصححون معلومات مسئولى السجن الذين كانوا يطلقوا على جماعتهم ((التكفير والجهاد))³³ فهو يراه إفساداً للفكر الأصلي والأهداف الحقيقية للجماعة التي لا تطلق العنان لمسألة التكفير.³⁴

³² وكالة أنباء أس بي. أيه، الرياض، 22 أبريل 1996. بالرغم من إنكاره معرفته بالهجمات التي وقعت إلا أنه اعترف في حوار عام أنه كان يعرف الإرهابيين الذين توجيه الاتهام لهم

³³ فواد حسين و ((الجزء الخامس : الزرقاوي...الجيل الثاني للقاعدة)) القدس العربي، 21 يونيو 2005

³⁴ عقيدة، 22 انظر أيضاً لمروان شحادة و ميسر الشمري ((حوار مع المقدسي)) 10 يوليو 2005

وتاماً كما يذهب ابن تيمية، فإن المقدسي يؤمن بأن هناك درجات للكفر وأن كل ذلك لا يجب أن يختلط بمعنى الردة الحقيقي³⁵.

كما أن التصريح والإعلان عن تكفير شخص ما يجب وأن يكون تلفظ بذلك صراحة أو اتخذ من الخطوات ما يسيء بها للأمة الإسلامية. فهو يؤمن بأنه لا يطبق مبدأ التكفير إلا إذا تأكد أن شخصا ما ظهر منه ما يدل الشرك أو الكفر. ومن أمثال ذلك المشاركة في الانتخابات الكافرة أو حكم الطاغوت أو معاونة المشركين في مواجهة أهل التوحيد.³⁶ وعلى العكس، فهو يرى أن المشركين أو الذين يشتبه فيهم يجب أن لا يتعرضوا للإيذاء البدني أو لا ولكن للنقد اللاذع أو الدعوة أو الإرشاد التي قد تجبرهم على أن يستبرءوا من الأفكار الضالة. كما أنهم لا يحاكموا ولا يعاقبوا مثل المرتدين إلا إذا أصروا على شركهم وكفرهم. كما أن المقدسي يؤمن بأن كل شخص قد يختلف مع الآخر عما يعتقد الآخر وبالتالي فهو ينصح بتوخي الحذر عند اتهان أحد بالكفر. ويسوق المقدسي مقارنة لابن تيمية ليوضح وجهة نظره:

((فالمسلم للمسلم كما يقول شيخ الإسلام كالبيدين تغسل إحداهما الأخرى، وربما احتاج إزالة الوسخ أحيانا إلى شيء من الشدة التي تُحمد عاقبتها، لأن المقصود من ورائها الإبقاء على سلامة البيدين ونظافتهما.. ولا نستجيز بحال من الأحوال التبرؤ منهم بالكلية، لأن للمسلم على أخيه حق الموالاة التي لا تنقطع إلا بالردة والخروج من دائرة الإسلام..))³⁷

كما ان التطبيق المحدود لمسألة التكفير عند المقدسي تتضح في آرائه عن الجهاد في العراق، ولكنها يؤيد بشدة وصرامة الجهاد ضد قوى الديمقراطية والمسلمين الذين يؤازرونهم كما يرى أنهم لا يصفون أو يتهمون المشاركين في الانتخابات بالكفر لأنهم ليسوا كلهم راضون عن القوانين الوضعية.³⁸ بينما الزرقاوي وأتباعه من السلفيين السنة يدعون لحرب شاملة ضد الغالبية الشيعية في العراق وذلك لسببين أولا لأنهم شيعة وثانيا لأنهم شاركوا في الانتخابات الأخيرة في العراق، ولكن المقدسي يبتعد تماما عن مسألة وصم الشيعة بالردة.³⁹ كما أنه لا يكن سوى العداء والكرهية للشيعة الروافض كما أنه لا يجب خلطهم بالمرتدين و أعداء الإسلام. ويستشهد على ذلك بكلام لابن تيمية الذي يحث فيها المسلمين السنة بعدم مساواة الشيعة مع اليهود

³⁵ ملة إبراهيم، 65

³⁶ عقيدة 23

³⁷ ملة إبراهيم، 50

³⁸ عقيدة، 22

³⁹ نفس المصدر 11

والنصارى أثناء مواجهة قوى الطغيان والبغي. كما أن إصدار حكم عام بتكفير الشيعة وإراقة دماءهم ليس هو الرأي الصواب وعلى المجاهدين ألا ينزلقوا في ذلك.⁴⁰

إن التحفظات التي يبديها المقدسي على الحكم بالتكفير عامة لا تعكس فقط اعتباراته الفكرية ولكن أيضا اعتباراته الحذرة. فعلى سبيل المثال، كان المقدسي يؤمن في كتاباته الأولى أن الانقلاب على حكم يأسق العصر الحديث لن يحدث بين يوم وليلة. فالمقدسي يلخص في كتابه ملة إبراهيم الخطوات التي يجب اتباعها للثورة الإسلامية وهي السرية التامة للخطط المسلحة، ونشر الدعوة والتعريف برسالة الإسلام⁴¹ وكل ذلك يجب أن يكون قبل البدء في مهاجمة النظم والحكومات فيجب على الإسلاميين أولا أن يشتغلوا ولفترة طويلة بمسألة الدعوة.⁴² وفي هذه الأثناء يجب أن يعملوا على تبصير الناس بالعقيدة الصحيحة وأن يظهروا حماقات الحكومات والأحكام الحالية، وفي نفس الوقت يعلنوا إنكارهم لها وكرهيتهم لها.⁴³ ولكن الدعوة يجب وأن تتم على الملأ حتى يتم التحضير والتجهيز للعمليات المسلحة، بل ويجب التخطيط لها بدقة وعناية وأن تكون سرية للغاية. كما أن هذا التمرد والانقلاب يجب أن يتم في توافر شروط مسبقة ومدرجة طبقا لترتيبات محددة حتى يكون المجتمع المسلم بالكامل مهيبا للتخلص من دولة الكفر.⁴⁴

وقد أبدى المقدسي إعجابه بالصحة التي تشهداها الدعوة السلفية مؤخرا بفضل مجهودات الدعوة الإسلامية ولكنه يخشى أن تنزلق تلك الدعوة في الخطر بسبب التصرفات الطائشة لبعض الشباب المسلم الصغير الذي يقوم بعمل صراعات ضد الحكومات والتي لاتجدي ولا تأتي بأي ثمار.⁴⁵

ويهاجم المقدسي الأشخاص الذين يؤججون الدعوة ضد الحكومة لاستثارتها ضدهم فتبدأ معهم بأساليب القمع المسلح حتى يواجهوها هم أيضا بالكفاح المسلح.⁴⁶

وباختصار، فإن المقدسي يؤكد ضرورة التحضير الفكري أولا، ثم بذل الجهود المضنية لأسلمة المجتمع ومن ثم سيصبح الوضع مؤهلا لتطبيق الأهداف الأصلية بدلا من المبادأة بالجهاد ضد الشرك.

ويتضح من ذلك ان هذه التأكيدات من جانب المقدسي توضح مدى الحذر من البدء برفع راية الجهاد ويدل على الخبرة الطويلة في تلك المسألة. وصرح المقدسي أن بقايا جماعة التوحيد

⁴⁰ حوار الجزيرة

⁴¹ ملة إبراهيم، 83

⁴² نفس المصدر، 70,71, 92

⁴³ نفس المصدر، 63

⁴⁴ المواجهة

⁴⁵ حوار الجزيرة

⁴⁶ ملة إبراهيم، 83

المعتقلين في السجون لم يتمكنوا من تحقيق أهدافهم وبالتالي تم قمعهم وليس ذلك بسبب الجهود التي تبذلها الأردن لمكافحة الجهاد ولكن بسبب عدم الترتيب و التخطيط المناسب، وبالتالي أفضى ذلك إلى الضعف التنظيمي وبعد الشباب عنهم لدوافع أمنية.⁴⁷

إن المقدسي يبدوا قلقا ومتخوفا من أن يصل هذا الحال إلى المجاهدين في العراق وجماعات الجهاد السلفي إذا لم يتوخى جميع قائدي هذه الجماعات الحذر. وفي حوار معه في تليفزيون الجزيرة كرر المقدسي الحديث عن خطته مؤكدا على وجود مئ طویل للصراع الإسلامي:

((قال ان مشروعى ليس تفجير ((خمارة)) او مرقص، بل إعادة الإسلام والدعوة إلى الله.)) (48)

الاستراتيجي والقائد الميداني

في شهر يوليو 2004، أصدر المقدسي رسالة من زنزانة سجنه عنوانها ((مناصرة ومصالحة، آلام وآمال)) التي تنتقد بشكل شديد أفعال الزرقاوي في العراق . وفي لقاءات لاحقة بعد إطلاق سراحه من السجن في شهر يوليو 2005 ، شرح المقدسي هذه الانتقادات وقدم بعض وجهات نظره بشأن كيفية محاربة التمرد العراقي والجهاد في أماكن أخرى. ومنذ ذلك الحين، كان المجتمع السلفي يعج بالحديث عن الشقاق الذي حدث بين الرجلين.

في ((مناصرة ومصالحة، آلام وآمال))، يقدم المقدسي قائمة بالأخطاء التي ارتكبها الزرقاوي والتي يعتبرها غير مسؤولة ومدمرة لتاريخ الكفاح الإسلامي. وينصح المقدسي الزرقاوي بأن يتوقف عن إصدار إعلانات التكفير العامة. كما يقول أن التمرد الإسلامي لا ينبغي أن يستهدف الشيعة لأنهم، مثل السنة، ضحايا للمحتلين الكافرين. وهو يحذر الزرقاوي من ((توسيع دائرة النزاع أو قتل أفراد بخلاف المحتلين وأتباعهم من الحلفاء. ((لا ينبغي على الزرقاوي أن يرتكب أفعالا)) قد تشمل الضلوع في خطط فاشلة في بلاد لا يوجد فيها المجاهدون ومواردهم. وإضافة إلى ذلك، ((فالتهديدات التي أصدرها الزرقاوي ضد دول على مستوى العالم لا تخدم إلا هدف فقدان الثقة في المجاهدين كقوة خطيرة⁴⁸. ولأن التمرد بالعراق يخاطر بتجاوز حدوده وبعزل الشعب العراقي، يصر المقدسي على أنه ينبغي أن يكون العراقيون، وليس الزرقاوي أو الأجانب الآخرون، في مقدمة صفوف المقاومة⁴⁹.

وينتقد المقدسي بشكل شديد اختيار الزرقاوي للتكتيكات، وخاصة استخدام التفجير الانتحاري. وبينما يوافق على مثل هذه الهجمات من حيث المبدأ – بحجة أن الأمر الإسلامي بتحريم الانتحار

⁴⁷ فؤاد حسين ((الجزء الأول: الزرقاوي الجيل الثاني للقاعدة، القدس العربي 8 يونيو 2005))

⁴⁸ حوار الجزيرة

⁴⁹ أبو محمد محمد عاصم المقدسي، "الدعم والنصيحة: آلام وآمال" يوليو 2004، والذي تمت الإشارة إليه فيما بعد إلى "الدعم والنصيحة: آلام وآمال".

لا ينطبق على الأفعال التي تقع ليس بسبب الخوف أو كاعتراض على مشيئة الله – ولكنه يؤكد أنه ينبغي أن يتم استخدامها كأهداف العسكرية. ومع ذلك ، فهو يقول أن الهجمات الاستشهادية مقبولة فقط إذا لم يكن هناك طريقة بديلة لإلحاق الضرر بالعدو. أما بالنسبة لتنفيذ هذه العمليات لقتل كافر يمكن قتله بمسدس أو بمدفع ، فإن التضحية بالنفس غير مقبولة لأنه ليس هناك حاجة ولأنه يمكن إنجازها بوسائل أخرى. ويذكر المقدسي الزرقاوي بأن ((قنابل النظام المخلوع يمكن توفيرها بسهولة))⁵⁰.

وبمزيد من التركيز ، فالمقدسي يقول أن الجهاد في العراق تحت قيادة الزرقاوي أصبح محرقة لجثث شباب الإسلام. وقال ((سيكون الوضع أفضل لو تم استغلال هؤلاء الشباب للدعاية وكخطباء في بلادهم بدلا من أن يلقوا حتفهم في العراق))⁵¹. وقال إن الأخ المجاهد هو جوهره ثمينة في مثل هذا الزمن، وأنه لا ينبغي إهدارهم لأهداف يمكن تنفيذها دون خسائر من هذا النوع⁵². كما أنه يحث الزرقاوي على أن يضع نصب عينيه الهدف من الكفاح الإسلامي – وهو إنشاء الدولة الإسلامية – وأهمية الدعوة للوصول لتلك الأهداف . ويرثي المقدسي إهدار مواهب مجاهد ذكي في تفجير انتحارية عادية:

على سبيل المثال أبو أنس الشامي الذي لقي مصرعه في حادث ((كان يقال إنهم ذهبوا لتحرير السجينات العراقيات من سجن أبو غريب لو أنا كنت المسؤول عن الأخ أبو أنس الشامي لما بعثته في مثل هذه المهمة لأنه من يصل إلى مرحلة الأخ أبي أنس الشامي من النضوج والفهم هذا الرجل ما أنزله بعملية مثل هذه بغض النظر عن المبررات وبغض النظر عن الضرورات، إحنا عندنا أخوة قلة ناضجين وطلبة علم بهذا المستوى فيجب أن نرعاهم ويجب أن نكون موجّهين،))⁵³.

وأخيرا، يقوم المقدسي بتوبيخ الزرقاوي على المذبحة التي ارتكبها ضد المسلمين. كان المقدسي قد اعترف في مؤلفاته السابقة أنه عند القيام بالجهاد، يوجد دائما خطر أن يتعرض مسلم صادق حقيقي للقتل بصورة غير متعمدة إذا حدث وكان بين الكفار الذين يستهدفهم المجاهدون المسلمون.

وإذا وقع هذا ، فالمقدسي يعتقد أن الله يصحح الظلم بإعطاء الضحية مكانا في الجنة⁵⁴. ولكن لا ينبغي التهوين من شر قتل مؤمن: فهو أمر مقبول فقط إذا كان الإبقاء على حياة مجموعة من الكفار سيكون شر أكبر. وبالطبع، يستشهد بعالم ديني يؤكد في كثير من الأحيان أن "خطأ ترك

⁵⁰ المرجع السابق.

⁵¹ المرجع السابق.

⁵² مقابلة بالجزيرة.

⁵³ الدعم والنصيحة: آلام وآمال

⁵⁴ ملة إبراهيم

ألف كافر أيسر من خطأ إراقة دم مسلم واحد⁵⁵. ولكن المقدسي لا يجد عند الزرقاوي شيئاً من هذا القلق على نفوس المسلمين البريئة. فمنذ ستة أشهر، كتب المقدسي قائلًا ((إننا نقرأ بشكل يومي في الجرائد ونشاهد في التلفزيونات العشرات من المدنيين العراقيين وهم صرعى ومنهم النساء والأطفال، ونادراً ما نجد واحداً أو اثنين من المحتلين الأمريكي ما يكون مصاباً أو قتيلاً))⁵⁶. ويقول المقدسي أن مثل هذا الذبح الجماعي والقتل ينشأ من عجز الزرقاوي عن فهم المستويات المختلفة من الكفر⁵⁷. وقال محذراً أن لا ينبغي تعريض الكفاح الإسلامي للخطر بسبب الأفعال التي تتم عن غير تفكير وتتم بكل سريع. فهؤلاء الذين يخالفون هذا الأمر سيسألون أمام الله لإهدار شبابهم وأصولهم⁵⁸.

في 12 يوليو، 2005، قام الزرقاوي بالرد بخطاب عليه⁵⁹. ومع أنه مازال يتحدث عن المقدسي بشكل طيب كعالم، يقوم الزرقاوي بمهاجمته لتبديل الحقائق ولأنه لم يقم باختيار وقت مناسب لتعليقاته. كما أنه ينفي أنه ان كان في يوم من الأيام تلميذاً للمقدسي و يدعي أنه اليوم يتلقى النصيحة من ((علماء راشدين أكثر علماً من المقدسي)). وفوق كل هذا، يؤكد الزرقاوي أن خلافه مع المقدسي على مسائل متصلة بالجهاد، مشيراً إلى أنه رحل عن الأردن في عام 1999 لمواصلة الجهاد العملي النشط بينما فضل المقدسي نهجاً طويلاً بشكل أكبر يقوم على أساس التعليم والوعظ. قال الزرقاوي ((اعتقدت أن هناك طريقة أخرى لتأييد الدين بشكل مؤثر غير طريقته)).

ويرد الزرقاوي على الكثير من تهم المقدسي الموجهة ضده. فهو يدافع عن اعتماده على العمليات الاستشهادية، قائلاً بأن تفكيره في الموضوع جاء من شخص اسمه الشيخ أبو عبدالله المهاجر. ويقول في رسالته ((إنني لا أرى فقط أن [العمليات الاستشهادية] مسموح بها ولكنني مقتنع بأنها مفضلة. كما أنه يزعم أن أفعاله ضد الشيعة مبررة كذلك: لقد بدءوا أعمال العنف بالاستيلاء على مساكن ومساجد السنة والهجوم على السنة في الشوارع. والأهم أنه يقول أن استشهاد المقدسي بابن تيمية لا ينطبق على الوضع الحالي في العراق، ثم يذكر أسماء عدة علماء حديثين يتفقون على أنه ينبغي قتال الشيعة)). ولكن غضب الزرقاوي يظهر بشكل واضح وكبير بسبب إعلان

⁵⁵ العقيدة 26-27، طالع أيضاً: الدعم والنصيحة: آمال وآمال

⁵⁶ الدعم والنصيحة: آمال وآمال

⁵⁷ المرجع السابق

⁵⁸ المرجع السابق

⁵⁹ توضيح قضايا أثارها الشيخ المقدسي خلال لقائه في تلفزيون الجزيرة" 12 يوليو 2005. كل الاستشهادات التالية من رسالته والمتوفرة على شبكة الإنترنت على

http://www.jihadunspun.com/newsarchive/article_internal.php?article=103565&list=/newsarchive/index.php&

المقدسي أن الحرب في العراق خسارة، ومحرقة لشباب من المسلمين كان يمكن استغلالهم في أماكن أخرى: فيقول:

((هل يمكن أن يعتقد أي شخص أن تأتي مثل هذه الفتوى من أبو محمد [المقدسي]؟ أي جحيم تتحدث عنه؟ إن الجحيم الحقيقي ينتظر هؤلاء الذين تجاهلوا تنفيذ حكم الله ورفضوا إجابة داعي الجهاد . إن الجحيم الحقيقي تنتظر هؤلاء الذين لا يفعلون شيئاً لتحرير السجناء المسلمين من أبو غريب وجوانتانامو وأماكن أخرى . إن الجحيم الحقيقي ينتظر هؤلاء الذين يخونون أخواتنا الشريفات اللاتي يغتصبن ليل نهار على أيدي عبدة الصليب والرافضة [الشيعية]).

هنا، الزرقاوي يتحدى وبشكل مباشر استراتيجية المقدسي الخاصة بإعداد للجهاد ببطء وبعناية من خلال الدعوة والتخطيط والتنظيم. فقال مستشهداً بعدة علماء منهم أسامة بن لادن أن ((الجهاد في العراق فرض)). ويختم الزرقاوي بالقول للمقدسي أنه ينبغي عليه أن ((يحترس من مؤامرات أعداء الله)) ويحذره ((من الوقوع في شركهم الذي صمم لاستخدامك لزراع بذور الفتنة بين المجاهدين)).

وبالطبع، يبدو أن مثل هذه الفرقة قد ظهرت بالفعل بين اثنين من المعسكرات المعارضة في الحركة السلفية الجهادية. وتأتي هذه الفتنة من الاختلاف الكبير في الفكر الديني والتكتيكات والاستراتيجية . فالزرقاوي وأتباعه ينظرون الآن بخليط من الاحتقار والشفقة الآن للمقدسي وأشباهه من يرونهم خانعين وغير راغبين في تكريس حياتهم للجهاد . فجماعة المقدسي تلوم الزرقاوي على إرسال بعض من أذكى عقول المسلمين لمهام انتحارية في العراق وإضعاف الكفاح الإسلامي بالكامل.

ينبغي على السياسة الذكية لمكافحة الإرهاب أن تحاول فهم واستغلال مثل هذه الانشقاقات في الحركة السلفية الجهادية، بدلا من معاملة الحركة بالكامل ككيان واحد. وهذا الأمر مهم للفوز في المعركة ضد الزرقاوي والآخرين الذين يقومون بأفعال طائشة في الجهاد الإسلامي في العراق وفي أي مكان آخر في الشرق الأوسط . كما أنه مهم لتطوير استراتيجيات لشن كفاح على نفس القدر من الأهمية وأطول أمدا إلى حد ما ضد إسلاميين مثل المقدسي المنخرطون هذه الأيام في الدعوة بشكل نشط ويخططو للجهاد الإسلامي في المستقبل.